تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس { وإن يروا كسفا من السماء ساقطا } أي عليهم يعذبون به لما صدقوا ولما أيقنوا بل يقولون : هذا سحاب مركوم أي متراكم وهذا كقوله تعالى : { ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون } وقال ا تعالى { فذرهم } أي دعهم يا محمد { حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون } وذلك يوم القيامة { يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا } أي لا ينفعهم كيدهم ولا مكرهم الذي استعملوه في الدنيا لا يجزي عنهم يوم القيامة شيئا { ولا هم ينصرون } ثم قال تعالى : { وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك } أي قبل ذلك في الدار الدنيا كقوله تعالى : { ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون } ولهذا قال تعالى : { ولكن أكثرهم لا يعلمون } أي نعذبهم في الدنيا ونبتليهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون وينيبون فلا يفهمون ما يراد بهم بل إذا جلى عنهم مما كانوا فيه عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه كما جاء في بعض الأحاديث [إن المنافق إذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير لا يدري فيما عقلوه ولا فيما أرسلوه] وفي الأثر الإلهي : كم أعصيك ولا تعاقبني ؟ قال ا تعالى : يا عبدي كم أعاقبك وأنت لا تدري ؟ وقوله تعالى : { واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا } أي اصبر على أذاهم ولا تبالهم فإنك بمرأى منا وتحت كلاءتنا وا يعصمك من الناس وقوله تعالى : { وسبح بحمد ربك حين تقوم } قال الضحاك : أي إلى الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك .

وقد روي مثله عن الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما وروى مسلم في صحيحه عن عمر أنه كان يقول : هذا في ابتداء الصلاة ورواه أحمد وأهل السنن عن أبي سعيد وغيره عن النبي صلى ا عليه وسلّم أنه كان يقول ذلك وقال أبو الجوزاء { وسبح بحمد ربك حين تقوم } أي من نومك من فراشك واختاره ابن جرير ويتأيد هذا القول بما رواه الإمام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزعي حدثنا عمير بن هانىء حدثني جنادة بن أبي أمية حدثنا عبادة بن الصامت عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : [من تعار من الليل فقال لا إله إلا ا وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان ا والحمد ولا إله إلا ا وا أكبر ولا حول ولا قوة إلا با ثم قال رب اغفر لي ـ أو قال ثم دعا ـ استجيب له فإن عزم فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته] وأخرجه البخاري في صحيحه وأهل السنن من حديث الوليد بن مسلم به وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد { وسبح بحمد ربك حين تقوم } قال : من كل مجلس وقال الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص { وسبح بحمد ربك حين تقوم } قال إذا

أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال : سبحانك اللهم وبحمدك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم الدمشقي حدثنا محمد بن شعيب أخبرني طلحة بن عمرو الحضرمي عن عطاء بن أبي رباح أنه حدثه عن قول ا تعالى : { وسبح بحمد ربك حين تقوم } يقول حين تقوم من كل مجلس إن كنت أحسنت ازددت خيرا وإن كنت غير ذلك كان هذا كفارة له وقد قال عبد الرزاق في جامعه : أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزري عن أبي عثمان الفقير أن جبريل علم النبي صلى ا عليه وسلّم إذا قام من مجلسه أن يقول : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك قال معمر : وسمعت غيره يقول هذا القول كفارة المجالس وهذا مرسل وقد وردت مسندة من طرق يقوي بعضها بعضا بذلك فمن ذلك حديث ابن جريج عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى ا عليه وسلّم أنه قال : [من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر ا له ما كان في مجلسه ذلك] رواه الترمذي وهذا لفظه والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جريج وقال الترمذي : حسن صحيح وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال إسناده على شرط مسلم إلا أن البخاري ع قلت : ع الإمام أحمد والبخاري ومسلم وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطني وغيرهم ونسبوا الوهم فيه إلى ابن جريج على أن أبا داود قد رواه في سننه من طريق غير ابن جريج إلى أبي هريرة Bه عن النبي صلى ا عليه وسلّم بنحوه ورواه أبو داود واللفظ له والنسائي والحاكم في المستدرك من طريق الحجاج بن دينار عن هاشم عن أبي العالية عن أبي برزة الأسلمي قال : كان رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول بآخر عمره : إذا أراد أن يقوم من المجلس [سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك] فقال رجل : يا رسول ا إنك لتقول قولا ما كنت تقوله فيما مضى قال : [كفارة لما يكون في المجلس] وقد روي مرسلا عن أبي العالية فا أعلم .

وهكذا رواه النسائي والحاكم من حديث الربيع بن أنس عن أبي العالية عن رافع بن خديج عن النبي صلى ا عليه وسلّم مثله سواء وروي مرسلا أيضا فا أعلم وكذا رواه أبو داود عن عبد ا بن عمرو أنه قال : [كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلسه عند قيامه ثلاث مرات إلا كفر بهن عنه ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر إلا ختم له بهن كما يختم بالخاتم : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك] وأخرجه الحاكم من حديث أم المؤمنين عائشة وصححه ومن رواية جبير بن مطعم ورواه أبو بكر الإسماعيلي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كلهم عن النبي صلى ا عليه وسلّم وقد أفردت لذلك جزءا على حدة بذكر طرقه وألفاظه وع وما يتعلق به و الحمد والمنة .

وقوله تعالى : { ومن الليل فسبحه } أي اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل كما قال

تعالى : { ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا } وقوله تعالى : { وإدبار النجوم } قد تقدم في حديث ابن عباس أنهما الركعتان اللتان قبيل صلاة الفجر فإنهما مشروعتان عند إدبار النجوم أي عند جنوحها للغيبوبة وقد روى ابن سيلان عن أبي هريرة مرفوعا [لا تدعوها وإن طردتكم الخيل] يعني ركعتي الفجر رواه أبو داود ومن هذا الحديث حكي عن بعض أصحاب أحمد القول بوجوبهما وهو ضعيف لحديث [خمس صلوات في اليوم والليلة] قال : هل علي غيرها قال : [لا إلا أن تطوع] وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة على منه تعاهدا أشد النوافل من شيء على م ّوسل عليه ا صلى ا رسول يكن لم : قالت ها B ركعتي الفجر وفي لفظ لمسلم [ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها] .

آخر تفسير سورة الطور و الحمد والمنة